قصة كاتب

جاء الكاتب ملِكَه في يوم وقد أسرف في نفاقه ومكاذبته في أخر مخطوطة كتبها له في صحيفته التي يصدرها يوميا،فبعد أن بعث له الملك، جاءه بوجه الاصفرار الكاذب كعادته مزيفا الاهتمام والخشوع في حضرته، وقد وصل الأمر من قبله وقبل الحاشية الملتفة إلى تأليه هذا الملك وتعظيمه والتمجيد. أخبر الملك هذا الكاتب أنه قادم على أمر جلل، وأن العامة قد أحاطوا به وتربصوا مطالبين أن ينزل عن كرسي الإله؛ ذلك العرش الذي اتخذه منذ زمن مكانا له وسلطانا على الناس، وأن يلغى التأليه وأن ينزل بينهم كواحد منهم بعد أن يعيد إليهم الحقوق، تبسم الكاتب في ثقة بلهاء، وطمأنه قائلا أن الألهة لا تزول، فرد الملك قائلا "هذا شأن الآلهة"، لكن الكاتب لم يفهم ما قاله الملك وظل متبسما في ثقته المغيب عقله بها وهو يؤكد لملكله ألا يخف ولا يهتز من أمر الغوغاء، فهؤلاء- كما قال الكاتب - هم العامة المسخرون لراحة الملك، فلا بد ألا يقلقه ارتفاع صراخ الجياع منهم، وأكد مرة أخرى بغباء مطلق أن الألهة لا تزول وأن الشعب والعامة هم من يزول.

فأكمل الملك حديثه لإيصال بغيته: "أنت تعرف بالطبع مهمتك هذه الأيام، ولك مكافأتك في النهاية"، فأحنى الكاتب قامته في ذل وهو يردد: "خيرك يغمر دمنا يا ملكنا"، فأذن الملك له بالانصراف، فانصرف يجر أذيال الذل والهوان، وجاء بكل أعمال الخيانة في حق العامة المطالبين بالحقوق، وتآمر على قتلهم وشارك في ذبحهم وتكفيرهم لزعمه خروجهم عن ملة الإله الحاكم، ولفق التهم ونشر الأكاذيب، وصدق الأكاذيب، وهو الذي صدق كذبته الكبرى منذ زمن فصار لا يكتب إلا كذبا ولاينشر إلا نفاقا!

أفاق في ليلة من كذبته الكبرى ليدرك أن عليه أن ينشر غدا الحقيقة لأول مرة منذ دهور، وقد كانت له فكرة إلقاء نفسه في النهر للتماسيح أقرب من أن ينزل الإله المزعم وآله عن عرشهم، فلم يدر ماذا هو صانع تلك الليلة، أيؤدى واجبه في الكذب ويعتبر ما حدث مجرد حلم عابر يفيق منه غدا، أم يغالط مبدأه ويكتب حقيقة ما حدث ويصدقه، ترك محل عمله وجال يسأل ويتسول فى وجوه الناس ماذا هو فاعل في ليلته وماذا يحصل له في أيامه القادمة؟

أخذ يدور حتى كادت قدماه تتورم ورأسه يغيب ويدور، وأخذ يسأل الناس الفرحين بنصرهم الذي حققوا ليستوثق منهم الخبر الذي عرف - ولو أن المشهد وحده كفيل بأن يجيبه- "هل سقط الملك حقا؟ " فينظر له الناظر متعجبا سؤاله متعجلا استكمال فرحته فيهرول تاركا إياه مستكملا أناشيد النصر والفرح، وبعد أن دار برأسه دوار الخواطر ولم يوصله لجواب سؤاله "ماذا أكتب وماذا سيحدث؟ "

سلم نفسه لطوفان الشعب الهادر بقوة الانتصار والسعادة، ليرى إلام تسلمه الأقدار وإلى أين تسوقه، فتبسم عريضا وقهقه طويلا عندما آل به الاستسلام وأودعه بيت أحد الفقراء، بعد أن سقط أرضا وجرح رأسه بسبب الزحام، فنقله أحد العامة إلى بيته وسط ضحكه، فقد علم الآن جواب سؤاله وعرف أين يبيت ليلته تلك !